الدروس العلمية

دروس الدورة العلمية الثامنة
بجامع شيخ الإسلام بن تيميه
بمدينة الرياض لعام 1422 هـ

شرح كتاب التوحيد (كلمة الإخلاص)
للحافظ بن رجب

لفضيلة الشيخ العلامة
عبد الحمن بن ناصر البراك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد ؛

فهذا شرح كتاب التوحيد (كلمة الإخلاص) للحافظ بن رجب رحمه الله تعالى .

لفضيلة الشيخ العلامة /

عبد الرحمن بن ناصر البراك

حفظه الله ونفع بعلمه

وقد قام فضيلته بهذا الشرح المبارك وهذه الفوائد الفريدة في الدورة العلمية الثامنة بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية في مدينة الرياض عام 1422هـ .

أسأل الله أن يجزي شيخنا خيراً عن الموحدين ، وأن ينفع به البلاد والعباد ، وأن يرفع درجاته في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ،، وأن يجعل لي من الخير نصيباً . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

١

الحمد لله ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

نبدأ هذا الدرس معكم وفقكم الله ، من خلال قراءة كتاب (التوحيد) أو كتاب موسوم بكلمة الإخلاص ، وحقيقة معناها ، للإمام العلم العلامة : أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، المعروف الشهير من كبار وأئمة الحنابلة ، وهو ترجمته بين أيديكم ، وهي مدونة في مصادر عديدة ، وهو من أعلام القرن الثامن ، وله مؤلفات متنوعة في الفقه ، والأصول ، والحديث ، وفي العقيدة ، كما في هذا الكتاب المختصر المبارك .

وهذه الرسالة تعنى بهذا الموضع العظيم ، موضوع كلمة التوحيد وما تقتضيه ، وما ورد فيها من الأحاديث التي اشتبه معناها على كثير من الناس . ولاحظت أن الكتاب قد عني به أهل العلم من حيث الطباعة والتحقيق ، والتخريج لما فيه من الأحاديث ، والذي وقع لي من هذه الطباعات والتحقيقات ، تحقيق الأستاذ : صبري سلامة شاهين . ولاحظت أنه قد وفق في هذا التحقيق ، قدم للكتاب مقدمة في التوحيد أيضا مناسبة ، فلا أدري لعل هذه الطبعة معكم أو مع بعضكم ، أظن أنها أجود الطباعات والتحقيقات ، فلهذا أقترح أن نستهل هذا اللقاء ، وهذا الدرس بقراءة ما في صفحة 20 ، العنوان : (**بين يدي هذه الرسالة**) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال وفقه الله تعالى :

تغلغل الفكر الإرجائي في الأمة حتى غدا الإيمان قولا والتوحيد شعاراً والإسلام إرثاً وانتساباً ، وصادف هذا الفكر قلوبا خاوية فاستحكم من القلوب والعقول وفي حياة البشر ، وكما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فترك الناس الفرائض والواجبات والسنن ، واكتفوا بقول : لا إله إلا الله ، وظنوا أن دينهم محفوظ ، و إسلامهم مصون ، وإيمانهم لا غبار عليه ؛ فهم يؤمنون برب واحد للكون لا يعتقدون بالتثليث ، ويعرفون أن الله ربهم وخالقهم ورازقهم ، ويؤمنون على حد زعمهم باليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار .

وقد يؤدي بعضهم صلاة الجمعة والعيدين ، وقد يصوم البعض ، وقد يصوم البعض الآخر شهر رمضان أو بعض أيام منه ، وقد يعتمر البعض الآخر ويحج بيت الله الحرام ، ويظنون أنهم على خير ، وعلى جادة الطريق.

والكثير ممن ينتسب لهذا الدين يعتقد النفع والضر بيد بعض الأولياء والصالحين فيتوسل بهم ، ويستغيث وينظر لهم ، ويحلف باسم الواحد منهم ، ويظنون أنهم على خير ما داموا يقولون : لا إله إلا الله ، وقد سرت أحاديث ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) ، ((وأَخْرِجوا من النار من قال لا إله إلا الله)) ، وما شابه ذلك ، حتى سرت هذه الأحاديث في العامة سريان النار في

الهشيم ، فأتت على الأخضر واليابس . وظن أكثر المنتسبين إلى الملة أن النطق بالشهادتين يكفي في إثبات صفة الإسلام ، ودخول الجنان ، وإن تركوا الصلوات ، وفعلوا المنكرات ؛ كالاستهزاء بالله ورسوله وآياته ، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، ووالوا أعداء الله من اليهود والنصارى والملحدين ،وحَكَّموا في الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية.

نشأ على ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، حتى صار في عرف العامة ومعتقدهم عند بعض الدعاة أن هذا هو الوضع السليم . والأمر الذي لا يحتاج على وقفة بل وقفات ، اللهم إلا بعض الإصلاحات من هنا ومن هناك ، وأصبح الإنكار متوجها على من ينكر ذلك الوضع ، أو يضع يده على أصل الداء ، أو يحاول أن يهز بعنف هذا السبات الذي هو أشبه منه بالموت ، ويوقظ الغافلين الذين هم واقعون في شراك عدو الله إبليس اللعين ، يُنكَر على من يُنكِر المنكر ويدعو إلى عودة الناس إلى ربهم بإخلاص دينهم لله ، وإسلام وجوههم لربهم ، وتخليص حياتهم من الشركيات والوثنيات .

وهذه الرسالة التي بين أيدينا تعالج هذا الأمر ، وتدعو إلى أن الإيمان والإسلام قول وعمل ، ولا ينفع قول بلا عمل ، وإن فهم من بعض الأحاديث أن القول ينفع دون أن يقرن بعمل ، وهذا ما لا يكون بإذن الله ، أقول : إن من فهم ذلك ممن قصر فهمه ، وقل عقله ، فينبغي ألا تنشر على مسامعه هذه الأحاديث ، وتحجب عنه ، ما دام فهمه يؤدي به إلى غير ما أراد الشرع ، وهذا ما فهمه الصحابة وسلف هذه الأمة الصالح ، الذين ما أن سمعوا مثل هذه الأحاديث ، حتى ازدادوا عملا وإقبالا على الله ، أما في القرون المتأخرة فقد اتخذت مثل هذه الأحاديث ذريعة إلى ترك التكاليف والاستهانة بالفرائض ،

وجرأة على انتهاك الحرمات ، حتى وصل الحال بهذه الأمة إلى ما صارت إليه ، مما لا يخفى على ذي عينين ، والله المستعان .

.....ـــ

ـــ

الشرح :

هذه المقدمة ، مقدمة حسنة ونافعة ، وهي في الحقيقة تنبه إلى أمر عظيم ، وهو خطر مذهب الإرجاء .

والإرجاء مذهب معروف مضمونه : هو أن الإيمان مجرد التصديق ، أو أن الإيمان مجرد المعرفة ، أو أن الإيمان مجرد القول باللسان ، كما هي أقوال لطوائف المرجئة .

وهذا يخالف ما دلت عليه آيات الكتاب الحكيم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أن الإيمان قول وعمل ، اعتقاد وعمل ، اعتقاد بالقلب ، وعمل القلب ، وإقرار اللسان وعمل الجوارح .

فدين الله الذي بعث به رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام ، جاء بشريعة عظيمة ، اشتمل على اعتقادات مفصلة وأعمال قلبية مفصلة ، وأعمال للجوارح مفصلة ، أفعال وتروكات ، حلال وحرام واجبات وفرائض .

فليس دين الإسلام هو أن يقول الإنسان : لا إله إلا الله فقط ، فهذه الكلمة لها مدلولها العظيم ، فكيف يجعل النطق بها الإنسان مسلما مهما كان ، ومهما فعل من المنكرات بل من الكفريات بل من الشركات .

فهو كما قال ، وفقه الله ، في هذه المقدمة : إن مذهب الإرجاء ، يعني قد استشرى في الأمة ، وقد أدى إلى ألا يبقى مع كثير من المسلمين ، إلا مجرد الاسم .

فالمشركون الذين يعبدون القبور بأنواع العبادات ، لا ينكر عليهم ذلك ؛ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله .وهذا غرور من الشيطان ومخالفة لدين الرحمن

.....

كذلك كثير من المسلمين قد اجترأ على المعاصي ، فيقدم عليها بجرأة واستخفاف ، معتذراً بأنه يقول : لا إله إلا الله ، فيتكل على أحاديث الوعد ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : ((من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة)) .

فمذهب المرجئة يؤدي إلى الاستخفاف بهذا الدين ، مما يؤدي إلى الجرأة على المحرمات من كبائر الذنوب ، وما أكبر منه من أعمال شركية ، كالطواف بالقبور ، والذبح للأموات ، والدعاء والاستغاثة بالأموات ، وكذلك أنواع من الكفر التي تجري على ألسن بعض الناس ، فالخطر عظيم .

فهذا المذهب جر إلى هذا الواقع الأليم ، والجرأة على حدود الله ، فكيف يكفي من دين الإسلام أن تقول : لا إله إلا الله بلسانك ولا تنقاد جوارحك ، ولهذا فإن غلاة المرجئة ، كما يذكر أهل العلم أن مذهبهم مبني على هذه المقولة : (لا يضر مع الإيمان ذنب) ، والإيمان عند بعضهم التصديق بالقلب ، وأبعدهم من قال : إنه قول باللسان ، أو إنه لمعرفة فقط ، فمن اعتقد أنه لا يضر مع الإيمان معصية فهو كافر مفارق لدين الإسلام .

فالنصوص دلت على أن الذنوب تضر ؛ وهناك ذنوب توجب الكفر والخلود في النار لمن مات عليها .

ويقابل مذهب المرجئة ، مذهب الذين يكفرون بالذنوب ؛ فهما على طرفي نقيض ، ولهذا فأهل السنة والجماعة على صراط مستقيم ، بين هؤلاء وهؤلاء ، وسط في باب أسماء الأحكام والإيمان ، بين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ،

وبين المرجئة . فالوعيدية من الخوارج والمعتزلة يقنطون أصحاب الذنوب ، والمرجئة يؤمنونهم من عذاب الله .

.....

وأهل السنة والجماعة ، بالنسبة لأهل الكبائر التي دون الكفر والشرك يقولون فيهم ما قاله سبحانه وتعالى : **[ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]** ، وأما الشرك وأنواعه والكفر وأنواعه ، ونوا قض الإسلام فمن ارتكبها وانتفت عنه الموانع وتحققت موجبات الكفر عنده فهو كافر خارج عن الإسلام .

فلا إله إلا الله إنما تعصم دم الإنسان في الدنيا وماله ، وتعصمه في الآخرة من الخلود في النار ، إذا لم يأتِ ما يوجب كفره ، فإن شهادة : أَلاَّ إله إلا الله ، تقتضي أمرين :

الأول : اعتقاد أن الله هو الإله المستحق للعبادة ، وأن كل ما سواه لا يستحق العبادة ، فهذا اعتقاد .

الثاني : وتقتضي عملاً ، تقتضي عبادة الله ، وتخصيصه بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه .

فهي تقتضي اعتقاداً ، وتقتضي عملاً .

فالأول هو المذكور في قوله : **[فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى]** [البقرة : 256] ، فمن يترك الطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى .

والثاني في قوله : **[ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]** [النحل : 36] .

فالذي يقول بلسانه : لا إلـه إلا الله ، وهو لا يبرأ من المشركين وشركهم ، ولا يعتقد بطلان ما هم عليه وضلاله ،ليس له من هذه الكلمة إلا أن يقولها بلسانه ، ....

لا حظَّ له مما تقتضيه اعتقادا ، ولا مما تقتضيه عملا .

وإذا اعتقد بزعمه أنه يبرأ من المشركين ، ومع هذا زعم أنه يقول : لا إلـه إلا الله ، وأنـه لا يستحق العبادة إلا الله ، وأن كل ما سواه لا يستحق العبادة ، ولكنه أعرض عن عبادة الله ، فأي معنى لهذا الإقرار ؟ فإن إعراضه هذا يكذب دعواه ، فإعراضه عن عبادة الله ألا يعبده , ولا يطيعه ، ولا يحرم الحرام إلا زعما ، ولا يقيم الفرائض ، فهذا لا يحقق قول : لا إله إلا الله .

فالناس في هذا المقام على تفاوت عظيم ، منهم من ينتهي به الإرجاء إلى الكفر ، ومنهم من ينتهي به إلى الجرأة على المحرمات ، وشتان بين من يأتي المعصية وهو خائف وجل ، ويلوم نفسه ويفكر بالتوبة ، ، وبين من يأتي المحرمات ويرتكب الذنوب استناداً على شبهة الإرجاء التي تخرج الأعمال عن الإيمان ، فيكفيه من الإيمان على حد زعمه أنه يقول : لا إلـه إلا الله اعتمادا على صحة القاصد أحاديث الوعد الواردة في هذا المعنى .

فهذا الانقسام موجود من الصدر الأول من وقت خروج الخوارج وعلى أثرهم المرجئة إلى يومنا هذا ، والمذهبان موجودان .

فالواجب على المسلمين أن يحذروا من السبيلين :

سبيل أهل التكفير ، التكفير بالذنوب .

وسبيل المرجئة ، المستخفين بالذنوب ، والمهونين لخطرها .

فعلى المسلمين أن يسلكوا الصراط المستقيم بين هذين الفريقين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة القدوة الحافظ : زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الصالح العلامة أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي أدام الله النفع به ، آمين :

في (الصحيحين) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : كان النبي ε ومعاذ بن جبل رديفه على الرحل ، فقال : ((يا معاذ)) ، قال : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : ((يا معاذ)) ، قال : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : ((يا معاذ)) ، قال : لبيك رسول الله وسعديك ، قال : ((ما من عبد يشهد : أَلاَّ إله إلا الله وأن محمداًاً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار)) ، قال : يا رسول الله ، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : ((إذاً يتكلوا)) ، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما .

وفي (الصحيحين) عن عتبان بن مالك عن النبي ε أنه قال : ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله)) .

وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وأبي سعيد رضي الله تعالى عنه . بشك . ، أنهما كانوا مع النبي ε في غزاة تبوك ، فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبي ε بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، وجعل الآخر بكف تمر ، وجعل الآخر يجئ بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ε بالبركة

، ثم قال : ((خذوا في أوعيتكم)) ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه ، قال : فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ε : ((أشهد أَلاَّ إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)) .

وفي (الصحيحين) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ε أنه قال : ((ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)) ، قلت : وإن زنى ، وإن سرق ؟ ، قال : ((وإن زنى وإن سرق)) ، قالها ثلاثة ، ثم قال في الرابعة : ((على رغم أنف أبي ذر)) ، فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر .

وفي (صحيح مسلم) عن عبادة أنه قال عند موته : سمعت رسول الله ε يقول : ((من شهد أَلاَّ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار)) .

وفي (الصحيحين) عن عبادة ، عن النبي ε أنه قال : ((من شهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، ادخله الله الجنة على ما كان من عمل)) .

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة جدا ، يطول ذكرها .

الشرح :

هذه جملة من الأحاديث الواردة في فضل التوحيد ، وما يوجبه من دخول الجنة والنجاة من النار .

فهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة على فضل التوحيد وعظم ثوابه ، كما عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الباب الثاني ، فقال : باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ، فذكر بعض هذه الأحاديث ، ذكر حديث عبادة بن الصامت ، وحديث عتبان .

.....

وهذه الأحاديث منها ما اقتصر فيه على شهادة أَلاَّ إله إلا الله ، أو لا إله إلا الله ، وبعضها فيه ذكر الشهادتين ، ومنها ما فيه أكثر من ذلك كما في حديث عبادة . ومنها ما فيه إطلاق القول ، من قال : لا إله إلا الله ، أو من شهد أَلاَّ إله إلا الله ، ومنها ما فيها ذكر قولها مقيد .

ففي حديث عبادة ، ((من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) أن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، وفي حديث أبي سعيد ، وأبي هريرة ، في قصة ما وقع لهم في غازة تبوك ، من أنه عليه الصلاة والسلام لما أصابتهم مجاعة أمرهم بجمع ما في أزوادهم ، فجمعوا شيئاً يسيراً ، هذا جاء بكف تمر ، وبكف ذرة ، فجمعوا شيئا ، فدعا فيه النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم قال : ((خذ)) ، فملئوا أوعيتهم وأكلوا وشبعوا وبقيت بقية ، فذكر الرسول عليه الصلاة والسلام الشهادتين ، قال عليه الصلاة والسلام : ((أشهد أَلاَّ إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك إلا دخل الجنة أو أدخله الجنة)) .

فالأحاديث فيها ذكر الشهادة ، وذكر الإخلاص ، وذكر العلم ، وعدم الشك ، مما يدل على أنه لا يكفي مجرد التلفظ بها ، كما سيأتي ، وقد أخذ العلماء من هذه الأحاديث شروط لا إله إلا الله ،وهي :

العلم ، واليقين ، والانقياد ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والقبول ، والكفر بما يعبد من دون الله . هذه الشروط مستمدة من هذه الأحاديث .

فأول هذه الأحاديث حديث معاذ رضي الله عنه ، وكان رديف النبي ε على حمار ، راكباً معه ، فقال : ((يا معاذ)) ، فقال : لبيك وسعديك ، يعيد

.....

له هذا الخطاب وهذا النداء مرات ؛ ليستجمع معاذ ذهنه ، وليتم إقباله ، فالأمر عظيم ، : ((يا معاذ)) ، اللفظ المعروف المشهور في إحدى الروايات : ((أتدري ما حق الله على العباد ؟ ، وما حق العباد على الله ؟)) ، قال : قلت: الله ورسوله أعلم .... الحديث وفي هذه الرواية ، ((ما من عبد يشهد : أَلاَّ إله إلا الله وأن محمداًاً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار)) يوافق حديث عتبان وغيره ، ((إلا حرمه الله على النار)) ، هو بمعنى ((وحق العباد على الله ألا يعذب من لم يشرك به شيئا)) فالحديث واحد ، وكأن اختلاف الروايات راجع إلى رواية المعنى ، والروايات متفقة في معناها ، فشهادة أَلاَّ إله إلا الله ، هذا هو حقه على عباده ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وهذا هو مضمون شهادة : أَلاَّ إله إلا الله وأن محمداًاً رسول الله ، فشهادة أن محمداً رسول الله تتضمن الإيمان به وبما جاء به عليه الصلاة والسلام ، وأعظم ما جاء به التوحيد ، وقوله : ((إلا حرمه الله على النار)) ، هذا هو معنى قوله في اللفظ الآخر : ((وحق العباد على الله أَلاَّ يعذب من لا يشرك به شيئا)) .

وفي ذكر الشهادة ، الشهادة تدل على معانٍ تقتضي العلم واليقين ، لابد من العلم ؛ فالشهادة باللسان بلا علم كذب ، ولابد في الشهادة من الصدق ، لابد أن تقوم الشهادة على علم وعلى صدق ، فالمنافقون لما قالوا بألسنتهم ما ليس

فـي قلـوبهم أكـذبهم الله ، [**والله يشــهد إن المنــافقين لكــاذبون**] . [المنافقون : 1] .

.....

فكل هذه الأحاديث ليس فيها إطلاق الوعد على مجرد القول ، فالوعد بالنجاة من النار ، أو بالتحريم على النار ، أو بدخول الجنة ، ليس في شيء منها ربط ذلك بمجرد القول ، وإن ورد شيء مضاف إلى مطلق القول فإنه مقيد بالنصوص المتضمنة لتلك الشروط ، من العلم ، والإخلاص ، والصدق ، واليقين المنافي للشك ((غير شاك)) كما في الحديث .

فهذه الأحاديث فهم منها أهل العلم الدلائل على فضل التوحيد ، وعظيم ثوابه ، وعظيم أثره ، وهؤلاء هم أهل الفهم الصحيح ، وسيأتي كلام المؤلف على هذه الأحاديث وذكر مذاهب الناس فيها .

فأما المرجئة ، فاتخذوها شبهة لهم ، أخذوا من هذه الأحاديث أنهم يكفيهم من دين الله أنهم يقولون : لا إله إلا الله . بألسنتهم ، ولم ينظروا بما قيدت به من الصدق والإخلاص والانقياد الذي يقتضيه لفظ الشهادة ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أَلاَّ إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله)) .

وحديث : ((ما من عبد يشهد أَلاَّ إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله)) وحديث عبادة : ((من شهد)) بلفظ الشهادة ، الذي يقول بلسانه بغير علم ولا يقين ، بغير علم بمعناها وما تقتضيه . هو في الحقيقة لم يتحقق بحقيقة الشهادة ، إنما هو يقول هذه الكلمة بلسانه ، وليس هذا هو المطلوب ، وليس هذا هو الذي رتب عليه دخول الجنة ، والنجاة من النار ، أو التحريم على النار ،

فهذا الوعد العظيم ليس مرتبا على مجرد النطق بها مع الإتيان بكل . أو ببعض . ما ينقضها .

.....

والأدلة على بطلان هذا الفهم ، أدلة كبيرة ؛ فالصحابة قاتلوا المرتدين أتباع مسليمة وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وقاتلوا مانعي الزكاة وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وعلي رضي الله عنه ، قتل الناصبة الغلاة وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وهكذا ، نقول : وقد أوضح هذا المعنى وجلاه واستشهد له ببعض هذه الشواهد وغيرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . في آخر الرسالة والكتاب المعروف (كشف الشبهات) فقد أبطل هذه الشبهة ، شبه المرجئة الذين يقولون أنه يكفي في التحقق من الإسلام وعصمة الدم والمال ، قول : لا إله إلا الله ، فأتى بشواهد وبأدلة قيمة مفحمة لأصحاب هذا التوجه الباطل .

ونأتي لما أورده المؤلف من موقف أهل السنة من هذه الأحاديث ، ومذاهبهم فيها ؛ فإن هذه الأحاديث في الحقيقة يمكن أن يصدق عليها أنها من النصوص المتشابهة ، والقرآن والحديث فيه محكم ومتشابه ، فيه الواضح البين ، وفيه المتشابه ، وهذا كما قال سبحانه وتعالى : **[منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله]** [آل عمران : 7] ، وهذا المسلك لأهل الزيغ الذي يسلكونه في الآيات المتشابهات وفي الأحاديث المتشابهات التي هذه منها ، فنصوص الوعيد يكون منها المتشابه ، ولهذا حصل بسببه حصل هذا الانقسام ، وهذا الافتراق في فهمها ، فهدى الله أهل السنة والجماعة الذين اتبعوا السلف الصالح اتبعوهم بإحسان ، هداهم إلى الصواب ، فردوا النصوص بعضها إلى

بعض ، وجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد ، ففهموا عن الله ورسوله فهما

.....

حسنا . وأما أهل الضلال والبدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة وغيرهم ، فقد ساء فهمهم لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان في هذه الأحاديث وأمثالها من الاشتباه ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا عن أن يحدث به الناس ، قال : أفلا أبشر به الناس ؟ ، أو أفلا أحدث الناس فيستبشروا ؟ قال : ((لا لئلا يتكلوا)) لا تبشروهم فيتكلوا ، ولا ريب أن المراد بالناس ، الناس الذين لا يحسنون فهم هذا الحديث ، فهذا فيه فضيلة لمعاذ . رضي الله عنه . وأنه ممن يحسن الفهم عن الله ورسوله ؛ ولهذا خصه بالتحديث بهذا الأمر ، ونهاه عن أن يحدث به عموم الناس وسائرهم ، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير من هو في منزلة معاذ وفوقها ، ولهذا عمر نفسه رضي الله عنه لما أُخْبِر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى وأنكر عليه عمر أن يحدث به ، حتى رجع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يشتكي عمر ، فذكر عمر أنه يخاف على الناس أن يتكلوا ، وقال : دعهم يعملوا .

فكثير من الناس إذا سمع هذا الوعد حملهم على التقصير في العمل ، بخلاف أهل العلم والإيمان والبصيرة ، فإنه لا تحملهم أحاديث الوعد ، وأدلة الوعد والفضل ، والفضائل إلا على مضاعفة الجهد .

فالعشرة المبشرون بالجنة ، لم تزدهم هذه البشارة إلا جهدا واجتهادا ، وهكذا أمثالهم ، لا يأخذون من هذه البشائر ما يحملهم على البطالة والإخلاد إلى الدعة ، والتقصير في الواجبات ، بل لا يحملهم ذلك على التقصير في

.....

الفضائل والنوافل ، بل هم يعلمون أن ما بشروا به من دخول الجنة إنما كان ذلك بالأعمال التي جعلها الله سببا لبلوغ هذه المنازل .أ . هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله تعالى :

أهل التوحيد لا يخلدون في النار وإن دخلوها ، وأحاديث هذا الباب نوعان ، أحدهما : ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة أو لم يحجب عنها ، وهذا ظاهر ؛ فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار.

وحديث أبي ذر معناه : أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول أحد مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ، ليس فيه أنه لا يعذب يوما عليهما مع التوحيد .

وفي (مسند البزار) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا :((من قال لا إله إلا الله ، نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه))

وفي (الصحيحين) أن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال : لا إله إلا الله .

الشرح :

ساق المؤلف جملة من الأحاديث كما تقدم ، مما يدل على فضل التوحيد ، ونجاة أهل التوحيد من النار ، وتحريمهم على النار ، ودخولهم الجنة ، وأنهم لا يحجبون منها .

وذكرت لكم أن هذه النصوص في الحقيقة ظواهرها كثيرة ، وهي مع نصوص الوعيد وغيرها ، من النوع المتشابه الذي يشتبه معناه ويخفى معناه على بعض الناس ، ولهذا وقع ما وقع من المكفرات والانقسام والاشتباه ،

فضل بهذه الأحاديث أهل الإرجاء ، سواء كان هذا الإرجاء مُؤصلا على اعتقاد في مفهوم الإيمان ، وحقيقة الإيمان ، أو كان من الشبه التي يلقيها الشيطان في نفوس بعض العصاة ، وإن لم يكونوا ممن يعتقد أو يعتنق منهج المرجئة ، كثيراً من العصاة من أهل السنة ، ممن لا يقولون ولا يعتقدون ولا يعرفون مذهب المرجئة في الإيمان ، إذا سمعوا مثل هذا الحديث ، ألقى الشيطان في نفوسهم ، بعض التهاون بالمعاصي ، وفهموا من ذلك أن معاصيهم لا تضرهم أو أن توحيدهم يمنعهم من العذاب ، ويوجب لهم دخول الجنة ، وهذا جهل واغترار برحمة الله ومغفرته ، وجهل في المراد من هذه النصوص التي تفيد الوعد ، ويدخل في هذا المعنى الأحاديث التي فيها أن من فعل كذا دخل الجنة ، ومن فعل كذا وقاه الله من النار .

كحديث ((اتقوا النار ولو بشق تمرة)) فيمكن أن يسمع بعض الناس : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فيقول :تصدق ما هو بتمرة ، بل بتمر كثير وبصدقات ، تكن لك حجاب من النار ، ولو اقترفت المعاصي الأخرى .

فنصوص الوعيد ضل بها المرجئة ، وضل بها الجهلة من أهل السنة ، والعصاة من أهل السنة يخطئون الفهم ، ويلبس عليهم الشيطان ، ويزين لهم أن ما يقومون به من أعمال صالحة ، يعصمهم من الوعيد المرتب على معاصيهم

فصلاة الجمعة مثلا تغفر ما بينها وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام ، كما جاء في الحديث الصحيح ، فهذا حق ، لكن ليس كما يظن الجاهل ، أن صلاة الجمعة تكفيه عن أداء الفرائض والصلوات ، وتوجب له مغفرة ما يقترفه من كبائر الذنوب .

.....

فأحاديث الوعد بمغفرة الذنوب المرتب على الأعمال الصالحة ، محمولة عند أهل العلم على الصغائر ، كما جاء النص بذلك ((الجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، كفارة لما بينهن ، ما اجتنبت الكبائر)) أو ((إذا اجتنبت الكبائر)) ، وفي الحديث الآخر ((ما لم تؤت كبيرة)) .

فالذي يظن أنه محافظ على الصلوات ، وقد أتى بعمرة ، أن هذا يكفر عنه ما يقترفه من كبائر الذنوب ، من الزنا ، والخمر ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، وما أشبه ذلك ،فهذا من خدْع الشيطان ، ومن الاغترار بمغفرة الله تعالى ، ومن سوء الفهم بكلام الله ، وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام .

والموحدون وإن عذبوا ، فمصيرهم ومآلهم ونهايتهم إلى الجنة ، فهذه الأحاديث لا إشكال فيها ، ولا متمسك فيها للمرجئة .

لكن التي فيها الإشكال الشبهة فيها الأحاديث التي فيها دخول الجنة أو التحريم على النار أو فيها نفي العذاب على من قال لا إله إلا الله ، ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله ، يبتغي بها وجهه)) .

وحديث ((من شهد أَلاَّ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) ، وحدث ((من مات وهو لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)) ، وحديث ((حق العباد على الله أَلاَّ يعذب من لا يشرك به شيئا)) .

وسينقل لكم المصنف . رحمه الله تعالى . مذاهب أهل السنة في الجواب على مثل هذه الأحاديث .

فالمذهب الأول : أنهم حملوا هذه الأحاديث على الخلود ، كقوله صلى الله عليه وسلم ((إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله)) يعني حرم

.....

عليه الخلود فيها الخلود أو يحمل على دخول نار المشركين ، فالنار مراتب أو دركات ، فنار معدة للكافرين للخلود فيها ، فهذه هي التي حرمها الله على أهل التوحيد ، وحرمهم عليها .

أما النار المعدة للعصاة للتطهير لا للخلود فهذه ليست مرادة في مثل هذه الحالة . هذا من الأجوبة وليس هو بالبين ؛ لأن اسم النار شامل لكل درجاتها .

كيف وفي بعض نصوص الوعيد ذكر الخلود ؟ **[ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما]** [النساء : 93] .

الثاني : ما فيه أنه يحرم على النار ، وهذا قد حمله بعضهم على الخلود فيها ، أو على نار يخلد فيها أهلها ، وهي ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله خلق كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، أو برحمة أرحم الراحمين

وقالت طائفة من العلماء :

المراد من هذه الأحاديث ، أَلاَّ إله إلا الله ، سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتضٍ لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه ، واكتفاء موانعه ؛ فقد يتخلف عنه المقتضى لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، وهذا قول الحسن ووهب بن المنبه ، وهو الأظهر .

وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نعم إن لـ (لا إله إلا الله) شروطا ، فإياك وقذف المحصنة .

وروي عنه أنه قال للفرزدق : هذا العمود ، فأين الطلب ؟ .

وقيل للحسن : إن ناسا يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفضلها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك .

وهذا الحديث ((إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله)) خرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع ، عن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة ، فقل : شهادة أَلاَّ إله إلا الله)) ، ويدل على صحة هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على

الأعمال الصالحة في كثير من النصوص ، كما في (الصحيحين) عن أبي أيوب أن رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال : ((تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)) .

وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال : ((تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان)) ، فقال الرجل : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا ، ولا أنقص منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا)) .

وفي (المسند) عن بشير بن الخصاصية ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه فاشترط علي شهادة : أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أوتي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ،فقلت : يا رسول الله فاثنتين والله لا أطيقهما ، الجهاد والصدقة ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال : ((لا جهاد ولا صدقة ، فبما تدخل الجنة إذاً ، فبم تدخل الجنة إذاً !)) قلت : يا رسول الله : أنا أبايعك ، فبايعته عليهن كلهن .

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرطان في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج ، ونظير هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله))

الشرح :

القول الثاني : أن المراد أن التوحيد سبب مقتضٍ لدخول الجنة والنجاة من النار ، وكل سبب شرعي أو كوني فإنه يتوقف تأثيره وحصول مقتضاه على وجود الشروط وانتفاء الموانع ، ونسبة هذا القول للحسن البصري ، و ابن منبه ، وهو في الحقيقة نسبته إليهما لا لاختصاصهما بهذا المعنى ، لكن لوجود تكلم الآثار عنهما ، فالحسن يبين أنه لا يكفي مجرد النطق بلا إله إلا الله ، بل لابد من معرفة معناها والتحقق بمقتضاها ، واستشهد بقوله للفرزدق : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : لا إله إلا الله ، أو شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، قال : نَعَم (أو نِعْم) . عند المحقق في بعض النسخ . نِعْم العدة .

نعم شهادة أن لا إله إلا الله هي الأصل ، فنعم العدة ، ولكن لا بد من الحذر من معاصي الله ، إياك وقذف المحصنات .

فهو يبين هنا أن هذا لا يُبَرِّرُ أو لا يُسَوِّغُ الجرأة على المعاصي وانتهاك الحرمات ، وهكذا الأثر عن ابن منبه ، فهو كلام جيد ، لما قيل له : ما تقول في قوله صلى الله عليه وسلم : ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)) أو ((أَلاَّ إله إلا الله مفتاح الجنة)) قال : نعم ، ما من مفتاح إلا وله أسنان ، وهذا معروف في نوع مفاتيح الأبواب ،فقديما كان للأبواب المصنوعة من الخشب مغلاق يسمى مَجْرَى ، يعرفه من شهدْ وقد أدركناه ، فالمفتاح نفسه خشبة موضوع فيها أعواد تسمى أسنان ، إذا فقد واحد منها فإنه لا يفتح ، لأن هذه الأسنان ترفع الأعواد التي تمنع الخشبة المعترضة التي تحبس الباب وتمنعه

من الحركة ، فترفع هذه الأعواد هذه الأسنان فينفتح الباب . وهذا ميزان طيب ، فما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح الباب ، وإن جئت بمفتاح ليس له أسنان لم يفتح الباب .

فالشيء الذي هو سبب ، لا يتحقق مقتضاه إلا بوجود الشروط وانتفاء الموانع . وهذا الجواب جواب محكم ، ينتفع به الباحث في أمور كثيرة ، استقريءْ هذا في الأمور الكونية ، كما في مسألة مفتاح الباب ، وفي الأمور الشرعية ، في نصوص الوعيد يعتبر هذا ، فمثلا جاء الوعيد في شأن القاتل **[ومن يقتل مؤمنا متعمدا .....]** [النساء : 93] ، أو في شأن الفار من الزحف **[يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير]** [الأنفال : 15] ، ونظائر ذلك كثير من نصوص الوعيد ، فنصوص الوعد ونصوص الوعيد ، هذه كلها تقتضي أن هذا الفعل سبب مقتض لما رتب عليه من ثواب أو ما رتب عليه من عقاب ، والسبب لا يتحقق مقتضاه إلا بوجود الشروط وانتفاء الموانع .

فهذه قاعدة مهمة ونافعة في أمور كثيرة ، وترفع هذه القاعدة كثيراً من الإشكالات ؛ ففي المثال الذي ذكرته في باب الوعيد : **[ومن يقتل مؤمنا متعمدا .....]** الآية ، قتل المؤمن سبب لدخول النار والخلود فيها ، ولكن دلت نصوص على أن هناك ما يمنع من ذلك ، فالتوبة مانع من هذا الوعيد باتفاق المسلمين ، والتوحيد مانع من هذا الوعيد ، أي من الخلود باتفاق أهل السنة ، فهذه المعصية ـــ أو هذا الذنب . فهو من كبائر الذنوب سبب لدخول

النار ، ومع ذلك فهو مقيد بمشيئة الله **[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]** [النساء : 116] .

فعلمنا أن هذا الوعيد معلق على المشيئة ، فجائز أن يغفر الله لهذا القاتل بما شاء من الأسباب ، ولا يدخله النار ، يغفر له ويتجاوز عنه ويرضي عنه المقتول ؛ فقد يكون لهذا القاتل من الأعمال الصالحة ما يقتضي ذلك ، ما يقتضي مغفرة الله له ونجاته من العذاب .

وقالت طائفة من العلماء :

المراد من هذه الأحاديث ، أَلاَّ إلـه إلا الله ، سبب لدخول الجنـة والنجـاة مـن النـار ، ومقـتضٍ لـذلك ، ولكـن المقتضـي لا يعمـل عملـه إلا باسـتجماع شروطه ، وانتفاء موانعه ؛ فقد يتخلف عنه المقتضى لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع .

الشرح :

في هذه المناسبة تذكر الشروط هنا التي استنبطها أهل العلم ، وهي في الحقيقة تقتضي أنه لا يكفي مجرد النطق بها ، وهي معلومة : العلم ، والقبول ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والانقياد ، واليقين ، والكفر بما يعبد من دون الله ، هذه شروط ، لا يتحقق مقتضى هذه الكلمة إلا باستيفاء هذه الشروط ، فلا بد فيها من علم ويقين وصدق وإخلاص ، وكل واحد من هذه الشروط له مد ، وآخرها وثامنها الكفر بما يعبد من دون الله .

وإذا تحققت هذه الشروط في قلب العبد على الوجه الأكمل ، أثمرت ثمراتها : **[إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا]** [الأنفال : 2 . 4] .

فالعلم التام ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص لله والمحبة للتوحيد ، ولما دلت عليه هذه الكلمة ، أتراه مع هذا يصر على شيء من المعاصي ؟ .

هذه الأمور توجب الامتناع عن الإقدام على المعصية ، وإن حصلت الهفوة فإنها تمنع من الإصرارعليها ، لكن قد تضعف هذه المعاني فيحصل الخلل ويحصل النقص والتقصير في العمل .

.....

(وقال الحسن للفرزدق ، وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نعم إن لـ (لا إله إلا الله) شروطا ، فإياك وقذف المحصنة) ، وروي عنه أنه قال للفرزدق : هذا العمود ، فأين الطلب ؟)

(هذا العمود فأين الطلب) هذا من باب التمثيل ؛ كقول وهب بن منبه في شأن المفتاح ، ومعلوم أن البناء أو الفسطاط أو الخيمة ، لا تقوم إلا بالعمود مع الطلب ، فإذا سقط العمود لم تفد الطلب ، وإن وجد العمود ولم تجد الطلب لم ينفع العمود ، فالخيمة يتوقف الانتفاع بها على العمود وعلى الطلب ، فباجتماعهما يحصل الانتفاع والاستغلال ، فأين الطلب ؟

(وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفضلها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، , وإلا لم يفتح لك) .

وهذا الحديث ((إن مفتاح الجنة : لا إله إلا الله)) خرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع ، عن معاذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة ، فقل : شهادة أَلاَّ إله إلا الله)) ، ويدل على صحة هذا القول أن النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص ؛ كما في (الصحيحين) عن أبي أيوب أن رجلا قال : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال : ((تعبد الله لا

.....

تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم)) .

(وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال : ((تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان)) ، فقال الرجل : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا ، ولا أنقص منه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى هذا)) .

وهذه الأحاديث موافقة لما في القرآن ؛ فالله تعالى في آيات كثيرة إنما رتب دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح **[والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون]** [البقرة : 82] ، وقال سبحانه وتعالى : **[الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب]** [الرعد : 29] ، وقال تعالى : **[وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل]** [البقرة : 25] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة **[إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى]** [طه : 74 . 76]

فدخول الجنة مرتب على الإيمان والعمل الصالح ، وهذه الأحاديث التي سُئل فيها الرسول عليه الصلاة والسلام عمَّا يدخل الجنة ويباعد عن النار ،

.....

لم يقتصر على قوله : ((قل لا إله إلا الله)) بل قال :((قل لا إله إلا الله ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وهذا يتضمن معنى لا إله إلا الله ، أي تخلص العبادة لله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ، على ما في الأحاديث من تنوع الأجوبة ، لكن كلها فيها جواب بذكر التوحيد والعمل الصالح .

من هذا الجنس حديث معاذ المشهور الذي رواه الترمذي ، وهو من أحاديث (الأربعون النووية) : قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، قال : ((لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت)).

فذكر له أصول الإسلام ومبانيه العظام ، وجعل ذلك هو السبب في دخول الجنة والنجاة من النار ، فلم يقصر ذلك على قوله : قل لا إله إلا الله ، أو : تعبد الله ولا تشرك به شيئا .

ومعنى قوله : ((تعبد الله ولا تشرك به شيئا)) أن هذا يقتضي العمل ، ويقتضي عبادة ، مع إخلاص ذلك كله لله تعالى .

فهذه الأحاديث موافقة لما جاء في القرآن كثيرا .

وفي (المسند) عن بشير بن الخصاصية ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم لأبايعه فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أوتي الزكاة ، و أن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ،فقلت : يا رسول الله فاثنتين والله لا أطيقهما ، الجهاد والصدقة ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال : ((لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذاً ، فبم تدخل الجنة إذاً !)) قلت يا رسول الله : أنا أبايعك ، فبايعته عليهن كلهن .

ففي هذا الحديث أن الجهاد والصدقة شرطان في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج .

الشرح :

وهذا الحديث من جنس ما قبله من اعتبار الأعمال ولا سيما أركان الإسلام العظام والصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج ، وذكر في هذا الجهاد .

فيقول بشر بن الخصاصية أريدت بيعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فاشترط عليه في المبايعة هذه الشروط : الشهادتين ، وسائر مباديء الإسلام وأضاف ، إلى ذلك الجهاد ، فأبدى الرجل الاستعداد للمبايعة على كل ما ذكر إلا الصدقة . يعني الزكاة . والجهاد ، فالرسول عليه الصلاة والسلام قبض يديه ، وقال : كيف تدخل الجنة ، ولا صدقة ولا جهاد !! ، قال : فبايعته على الأمرين .

والمقصود من هذه المبايعة ، أن يلتزم المسلم بهذه الأمور ، فمن امتنع أن يلتزم بالزكاة ، أو امتنع أن يلتزم بالجهاد ، فمعنى هذا عدم قبوله لهاتين

.....

الشريعتين ، وهاتين الفريضتين ؛ فإن الزكاة فرض عين على من تحققت فيه الشروط ، والجهاد الأصل فيه أنه فرض كفاية ، لكن لابد بشرائع الإسلام ، ولو أن إنسانا أراد أن يدخل في الإسلام ، وعرض عليه الإسلام بشرائعه ، فقال : لا أقبل الإسلام إلا كذا ، فإنه لا يكون مسلما .

فهذا الرجل يبدو أنه أبدى عدم الاستعداد للالتزام بالصدقة والجهاد ، فامتنع النبي صلى الله عليه وسلم عن مبايعته .

فلابد إذًا من الالتزام بشرائع الإسلام ، وذلك بالإيمان بها ، ونية القيام بها ؛ لأن كثيراً من هذه الواجبات عند المبايعة لم يتهيأ القيام بها ، فالحج له وقت ، والصيام له وقت ، والجهاد يتوقف على وجود أسباب ، والصدقة أيضا تتوقف على وجود المقتضي ، وهو ملك المال وملك النصاب ، ولكن الأمر المتحتم في هذا المقام الالتزام بها ، بالإقرار بوجوبها ، وعقد العزم على القيام بها .

أما من يقول : أنا لا أقبل الإسلام إلا كذا ، فهذا يعني : أنا لا أقر به ولا أنوي أن أعمله ، وهذا لا يصير بذلك مسلما ، لابد لمن أراد أن يدخل الإسلام أن يشهد الشهادتين ويلتزم ببقية الشرائع ، لابد من الالتزام .

فالرجل أولا اعترف بالصلاة والصيام والحج ، وامتنع من الالتزام بالصدقة والجهاد ، فقيل له : أهكذا تدخل الجنة ولا صدقة ولا جهاد !!

فلما رأى أن الصدقة والجهاد من الأهمية في الدين ، راجع نفسه واستجاب لما عرض عليه النبي عليه الصلاة والسلام , وبايع على كل هذه المذكورات .

ونظير هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) ، ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ، فتوقفوا عن قتال ما نعي الزكاة ، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم : ((فإذا فعلوا ذلك ، منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)) ، وقال : ((الزكاة حق المال)) وهذا الذي فهمه الصديق ، قد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة ، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما ، وأنه قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة)) ، ويدل على ذلك قوله تعالى : [فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم] [التوبة : 5] .

كما دل قوله تعالى : [فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين] [التوبة : 11] **على أن الإخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد ؛ فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد ، ولما قرر أبو بكر هذا إلى الصحابة ، رجعوا إلى قوله ورأوه صوابا .**

فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا ، بل قد يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام ، فكذلك عقوبة الآخرة .

الشرح :

وهذه الأحاديث أيضا ، تؤيد ما سبق من اعتبار الأعمال في ثبوت حكم الإسلام ، وفي النجاة من العقاب ، أو من القتال ، أو القتل ، وكذلك العذاب في الآخرة .

.....

وقد ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)) وقال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)) .

في حديث ابن عمر الذي في (الصحيحين) ، كما ذكر المؤلف ، فيه ذِكْرُ الأصول الثلاثة ، الشهادتين والصلاة والزكاة ، قال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)) ، وهذا الحديث وما في معناه تماما مطابق لآيتين : : [**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**] [التوبة : 5] ولقوله : [**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**] [التوبة : 11] ، فأفادت الآيات ، وأفادت الأحاديث أنه لا يكف عن قتالهم إلا بالتوبة من الشرك ، وذلك بالإتيان بالشهادتين ، وبالالتزام بهذه الشرائع ، الصلاة والزكاة ، وكذلك ما بعدهما ، إنما اقتصر عليهما في الآيتين ؛ لأنهما أعظم أركان الإسلام ، ومن التزم بهما فما بعدهما تابع لهما .

ويوضح هذا المقام ، ما جرى بين أبي بكر الصديق في شأنه مع عمر ومن وافقه في شأن مانعي الزكاة ، حيث عزم أبو بكر على قتالهم وأعترض عليه عمر ، قال : كيف تقاتل من قال لا إلا الله ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)) ؟ ، فقال أبو بكر رضي الله عنه :

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، وقال : والله لو منعوني عقالا . أو عناقا . كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه ، قال عمر : فما هو أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق

فاتفق الصحابة على قتال مانعي الزكاة ،المؤلف يستنبط من هذه الآيات أن التوحيد لا يعصم من عقوبة الدنيا ، بل قتال من امتنع من أداء فريضة من فرائض الإسلام ، فيباح قتله .

بل قال عليه الصلاة والسلام : ((لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني)) فأوجب قتل الثيب الزاني ، بإقامة الحد عليه مع أنه يشهد أَلاَّ إله إلا الله ، قال : ((لا يحل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)) ، وقوله : ((أمرت أن أقاتل الناس ..)) إلى قوله : ((إلا بحق الإسلام)) وفي اللفظ الآخر ((إلا بحقها)) ، قال أبو بكر : الزكاة حق المال ، وكل شرائع الإسلام هو من حقوق لا إله إلا الله ، إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان كل ذلك من حقها .

فعلم بهذا كله ، بطلان مذهب المرجئة الذين يقولون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، وأن قول لا إله إلا الله يوجب النجاة من النار وتحريم النار .

فلابد من إعمال النصوص كلها ؛ فالذي يأخذ بعض النصوص ويترك بعضا ، هذا متبع لهواه ، لابد من رد النصوص بعضها لبعض ، والجمع بينها ، وهذا هو المنهج الذي سار عليه أهل السنة ، جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد ،وفسروا بعضها ببعض ، فلم يكفروا بالذنوب كما فعلت الخوارج ،

ولم يخرجوا من أصل الإيمان كما فعلت المعتزلة احتجاجا بقوله عليه الصلاة والسلام : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) ، لم يفعلوا فعل المرجئة ، ولم قولهم بقولهم فهذا التوحيد الذي قالوا به من مجرد التصديق بالقلب والنطق بكلمات التوحيد ومعرفة الخالق لم يعصم من عقوبة الدنيا ، الصحابة كما مر قاتلوا مانعي الزكاة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة)) ومصداق ذلك قوله تعالى : **[فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم]** [التوبة : 5] فعلم أنه لا يخلى سبيلهم بمجرد النطق بكلمة التوحيد من غير الالتزام بالشرائع .

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .